

سلاحف الخليج العربي: مرغوبة لكنها بحاجة للمساعدة

نيكولاس جي بيلتشر

مؤسسة الأبحاث البحرية، صباح، ماليزيا. بريد إلكتروني npilcher@mrf-asia.org

إن السلاحف البحرية في الخليج العربي هي موضع اهتمام وبحث معرفي متزايد، وتتعرض في نفس الوقت لأخطار متزايدة تهدد بقائها وبيئتها، تعتبر السلاحف البحرية عنصرا متكاملًا ضمن الأنظمة البيئية البحرية، ولها قيمة ثقافية وتاريخية لأهل المنطقة، كما أنها وبفضل طباعها الجذابة والمحبة تمثل دور سفير لقضايا صون بيئية بحرية واضحة. تحتاج السلاحف إلى موائل رئيسية خلال دورة حياتها وبدونها تكسر الحلقة، وتتضمن تلك مناطق تغذية صحية آمنة هي، في حالة الخليج، عشب البحر الشعبة المرجانية، وسواحل لا يزعجها فيها شيء عند وضع بيضها، والبحر المفتوح، كموئل للنمو ولهجات التعشيش.

قامت عدة دول في العقدين الماضيين بجهود متباينة في حماية السلاحف وبشكل خاص في شواطئ التعشيش. إذ قامت عمان بحماية شواطئ هامة وحولتها إلى حدائق وطنية، وجعلتها المملكة العربية السعودية جزءًا من المحميات الطبيعية، وأنفقت دول أخرى الجهود في عمليات يومية لحماية موائل التعشيش أثناء موسم وضع البيض، كما قامت الإمارات العربية المتحدة بحماية الجزر المقابلة لشواطئها وأجرت أبحاث قيمة. بل إن الوعي بالأمر بدأ يزداد ببطء عبر جهود متفرقة عبر المنطقة.

لكن من الذي يريء السلاحف في البحر حيث تقضي الجزء الأكبر من حياتها البحرية؟ إن حماية السلاحف في شواطئ التعشيش لا تمثل إلا جزءًا ضئيلاً من حياتها، وهي في حاجة ماسة للحماية في البحر. إن الموائل التي تعتمد عليها في تغذيتها بحاجة للحماية، كما يجب أن يكون ضغط الصيد بشكل رحيم بالسلاحف. إن ردم الأراضي وتجريفها يمكن أن يؤثر على موائل السلاحف ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار عند إجراء تقييم التأثيرات البيئية والدراسات البحرية. يجري صيد السلاحف عبر العالم في شبكات الصيد حين تجرف المراكب قاع البحر، لكن ذلك أمر محظور في الخليج لحسن الحظ. لكن الشباك الخيشومية والجرافة ما زالت متوافرة بمئات آلاف الأمتار في تهديد لما تبقى لنا من سلاحف. إن هذين التهديدتين الرئيسيين بحاجة لمعالجة فورية.

يمكن استخدام السلاحف بما لها من طبيعة آخاذة كحافز لجهود الصون والوعي لدى المجتمعات المحلية وقادتها، ولكن هناك قلق خفي ومتأصل فيما يتعلق بتسارع عمليات التطوير والضغط المتصاعد للصيد الأمان اللذان يهددان استمرار بقائها. قد لا نشهد في المستقبل ذلك الصعود المهيبة في الليل لوضع البيض، ولا الأفراخ الجميلة وهي تعدو باتجاه البحر، ولا الحصاد الإيقاعي للحشائش من قبل السلاحف الخضراء في حقول عشب البحر، ولا سلاحف صقرية المنقار تتغذى على الإسفنج للحماية من انقلاب بيئي على الشعاب المرجانية. سيفقد الخليج توازنه للأبد.

بفضل عدة فرص رائعة متنوعة كان لي الشرف خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية في العمل إلى جانب متخصصين محليين ومنظمات صون في منطقة الخليج، وأن أعلم أن تلك الكائنات المهيبة هي، على مستوى القاعدة، في موقع متقدم على سلم أولويات استراتيجيات الصون. في تسعينات القرن الماضي وفي خضم حرب الخليج سعدت بالعمل في مساعدة السلاحف في العربية السعودية حين كانت لفظ ملوثة بالنفط على الشواطئ وعلى الجزر. عندها قمنا بإنتاج غذاء صناعي لها وأبقيناها في برك سباحة الأطفال إلى أن اختفى النفط وعاد الدفء للمياه. ثم سعدنا في أواخر ذلك العام بمشاهدة تعشيش السلاحف والتي كان بعضها من ضمن «ضيوفنا» لعدة أشهر. ومنذ ذلك الحين بقيت على ارتباط بالمنطقة وأهلها وسلاحفها. وفي قطر،

قيض لي أن أكون منذ البداية تقريباً جزءاً من «ثورة السلاحف» حيث تضافرت جهود الحكومة والقطاع الخاص والجمهور لتقديم كل ما بوسعهم لحماية السلاحف ومواطنها. في عمان كان لي فرصة التواصل المباشر مع الحراس على الشواطئ والمدراء في مكاتب الحكومة على حد سواء. وسعدت بتقديم المشورة للكويت والبحرين والإمارات العربية المتحدة وإيران في عدد من المشاريع والأفراد الهامين، والذين ما زلت على اتصال بالكثير منهم وكلهم ممن يحملون شعلة المحافظة على السلاحف.

أين هي إذا تحديات الصون، وأين توجد الفرص؟ إن التحديات أمر بديهي كما أسلفت أعلاه: الإقلال من أو منع الاصطياد الثانوي للسلاحف في معدات الصيد، وحماية موائل التعشيش وكذلك أماكن الرعي. إن ذلك يتطلب بعضاً من إعادة التفكير في قيمة بحرنا أو بالأحرى قاع البحر، ودمج ذلك في استراتيجيات وتطلعات. لكن في نهاية المطاف فإن الأمر يتوقف على قيمة السلاحف لدى قادة المنطقة.

لكن هناك فرصاً في متناول اليد للقيام بما يتوجب علينا، وتتطلب قدراً قليلاً من الاستثمار في الجهد والتفاني لجعل الصون حقيقة ماثلة: إن لدينا قدراً وافراً من التقنيات والمعرفة العلمية ووسائل الانخراط في الصون الفعّال. لا مجرد الكلام بل العمل، إننا في مرحلة يمكن للقطاع الخاص فيها أن يكون أكثر التزاماً بقضايا الصون عما كان عليه الحال سابقاً، وأن يبني على ما لديه من أخلاقيات المسؤولية الاجتماعية، ليكون له تأثير على التطورات البيئية كما لم يسبق له أن فعل. إن بوسع الشركات أن تختار عدم استغلال المناطق الشاطئية الرئيسية. ويمكن لمن يقومون بالجرف أن لا يجرفوا الموائل الرئيسية. كما يمكن للأموال الفائضة أن تستثمر في الحاجات الهامة للأبحاث كتتبع السلاحف باستخدام تقنيات الأقمار الصناعية من مواقع تغذيتها إلى مواقع تعشيشها لتحديد الارتباطات البيئية الرئيسية، أو في دعم حماية الموائل البعيدة التي لم يطلها التلوث. إن الوقت موات للحفاظ في عالمنا المستنير. إنني متفائل، وأعلم أن ذلك ممكن. أتصلوا بي إن شئتم أن تصحبوا جزءاً من هاتين الرحلة والمغامرة الرائعتين



صورة ٢: سلحفاة خضراء صغيرة ربيت في الأسر في إطار تجربة ثبت فشلها لرفع أعدادها في المياه المحلية، عاشت هذه السلاحف لمدة 18 شهراً في قفص على الحيد المرجاني قبل إعادة إطلاقها، ويعتقد العلماء الآن بمحدودية جدوى هذه الجهود في رفع أعداد السلاحف البحرية (© ن ج بيلتشر)



صورة ١: سلحفاة خضراء بالغة كبيرة تنظر للخلف للكاميرا وكأنها تتساءل إذا ما كان هناك من يستطيع مساعدتها. غالباً ما ترتاح السلاحف في كهوف أو حواف الحيد المرجاني وتقتات على طعام متنوع من قناديل البحر والطحالب والأعشاب البحرية (© ن ج بيلتشر)